خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٩ صفر ١٤٣٦ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

الحمد لله، الحمد لله الملك القدوس السلام، أكرمنا بدين الإسلام، وأمرنا بصلة الأرحام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المعبود الحق على الدوام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمةً للأنام، من التزم سنته اهتدى واستقام، ومن أعرض عن دينه تخبّط في دياجير الظلام، صلـــى الله عليه وسلم أزكى صلاة وأتم سلام، ورضي الله عن آله الطيبين الأعلام، وصحابته الخيار الكرام، أبا بعد فيا معاشر أهل الإسلام:

إن ديننا الإسلامي هو الحق المبين، ولا يوجد في الأرض حق ينافيه، فكل ما خالف ديننا فهو باطل بلا شك ولا مرية، ولن يقبل الله ﷻ من عبد دينًا غير الإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وقد سدّ الله أبواب الجنة بعد بعثة محمد ﷺ إلا من طريقه ﷺ، فلا يسمع بالنبي ﷺ يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن به إلا كان من أهل النار.

وإن ديننا -يا عباد الله- فيه طمأنينة القلوب وصلاح الحياة والفوز يوم القيامة، ولو أن المسلمين تعلّموا دينهم صدقًا، وعملوا بأحكامه حقًّا، لسعدت قلوبهم، وصلحت أحوالهم، وعزّوا وسادوا وكانوا أقوى من في الأرض، لكن من أسف -يا عباد الله- أن كثيرًا من المسلمين قد أعرضوا عن تعلم أحكام الدين، وفرّطوا في كثير من أحكامه، والمؤمن -يا عباد الله- قد يضعف وقد يغفل، لكنه إذا ذُكِّر تذكّر، والذكرى تنفع المؤمنين.

وإن من سمات ديننا الكبيرة وأحكامه العظيمة التي عظم التفريط فيها في هذا الزمان: الصلة بين الناس، فديننا دين الصلة، يحث على الصلة ويمدحها، ويحذّر من القطيعة ويذمّها، يقول ربنا ﷻ في صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢١]، ويقول ربنا ﷻ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٦-٢٧]، وقال ربنا ﷻ بعد أن ذكر أهل الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد:٢٥].

وإنك -يا عبد الله- إذا نظرت في حال مجتمعنا الإسلامي اليوم من جهة هذا الموضوع وجدت العجب العُجاب، فإذا نظرت -يا عبد الله- إلى صلة الرحم وجدت في واقعنا أمورًا مبكية، فإخوة لا يرون إخوانهم إلا قليلاً، ولا يسلّمون عليهم إلا لِمامًا، إخوة لا يرون أخواتهم إلا قليلاً، ولا يسألون عن حالهنّ، وقد تكون إحداهنّ ضعيفة مطلّقة أو أرملة أو غير متزوجة، فلا يسألون عنها أبدًا، إخوة -يا عباد الله- يعرفون عن أحوال أصحابهم ما لا يعرفون عن أحوال إخوانهم، إخوة لا يَعرف أحدهم أسماء أبناء إخوانه وأخواته، إخوة يتقاطعون إما جهلاً وإما قصدًا والعياذ بالله، لا يرى بعضهم بعضًا إلا قليلاً، وأقارب وأبناء عمومة حالهم أسوأ من هذا الحال الذي وصفنا.

وإذا جئت إلى رأس الأرحام -إلى الوالدين، إلى الأمّ والأب- رأيت من صلة الأبناء لهما عجبًا، واشتطّ قلبك لذلك غضبًا، أبناء لا يمرّون على والديهم إلا قليلاً، ولا يسألون عن أحوالهم إلا عَرَضًا، يذهب أحدهم إلى الاستراحة البعيدة عن بيته مسافات طويلة، ولا يَصِل إلى بيت والديه، وقد يكون الباب قريبًا من الباب، يعرف بعضهم أصحابهم، إذا طلب صاحب له منه عونًا قال: أبشر، وعلى رأسي، وأسرَعَ له بالعون، وإذا قالت له أمّه: يا بُنَيّ، اذهب بي إلى كذا، قال: أنا مشغول، قولي لأخي فلان، واطلبي من أخي فلان، والعياذ بالله.

بل بلغ الحال -يا عباد الله- أن نسمع أن ابنًا له أمّ قد رقّ عظمها، وشابَ شعرُها، واحدودب ظهرها، وقلّ عقلها، فصارت ثقيلة عليه، فأخذها إلى صالة من صالات المطار، ثم خرج وتركها هناك، والمسكينة تسأل عنه؛ أين هو؟ لعله بخير؟ والعاقّ قد تركها مُوَلِّيًا ظهره لها، لا تعرف بيتها، ولا تعرف اسمها، ولا تعرف إلا أن تسأل عن ابنها؛ أين هو؟ أين هو؟

بل بلغ الحال -يا عباد الله- أن ابنًا عاقًّا قد ثقل عليه والده بعد أن كبر في سنّه، ثقل عليه والده فأخذه وسافر به من مدينة إلى مدينة، ثم أنزله وتركه عند باب مسجد من المساجد، وذهب ورجع إلى بيته، والعياذ بالله من هذا الحال!

ولا زلنا نسمع صورًا من هذه الصور الشنيعة التي لا تليق أن تكون في ديار الكفّار، فكيف -يا عباد الله- بديار المسلمين؟!

أين نحن من قول ربنا ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء:٢٣-٢٦]؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول ربنا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ [النساء:١]؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول حبيبنا ونبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله ﷺ حينما سُئل: مَن أحقّ الناس بحُسن صحابتي؟ وفي رواية: من أَبَرُّ؟ قال: «أمّك، ثم أمّك، ثم أمّك، ثم أبوك، ثم أدناك فأدناك»؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول النبي ﷺ: «أحبّ الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول النبي ﷺ في أول مُقامِه في المدينة: «أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول النبي ﷺ: «قال الله: أنا الله، أنا الرحمن، خَلقتُ الرَّحِم، وشققت لها من اسمي، مَن وصلها وصلته، ومن قطعها بَتَتُّه»؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول النبي ﷺ: «تقول الرَّحِم: يا ربِّ إني قُطعت، يا ربِّ إني ظُلمت، يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ، فيجيبها الله: أمَا ترضين أن أقطع من قطعكِ؟»؟

أليس -يا عباد الله- العبد الذي قطعه الله محرومًا من كل خير؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول النبي ﷺ: «إنّ أعجل الطاعة ثوابًا لَصلة الرحم، حتى أن أهل البيت لَيكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويزداد عددهم، إذا هم تواصلوا»؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول النبي ﷺ: «كلُّ ذنوبٍ يؤخِّر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا البغي وعقوق الوالدين، أو قطيعة الرحم، يُعَجَّل لصاحبها في الدنيا قبل الممات»؟

أين نحن -يا عباد الله- من قول النبي ﷺ: «مَن سَرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»؟

إننا -يا عباد الله- نسمع النصوص من كتاب ربنا ومن سنة نبينا ﷺ مرارًا وتكرارًا، لكن أعمالنا لا تزكو بما نسمع، وإننا -يا عباد الله- سنُسأل يوم القيامة بين يدي ربنا ﷻ عن علمنا ماذا عملنا فيه؟

فيا عباد الله! يا عباد الله! يا عبد الله! يا مَن أكرمك الله ﷻ ببقاء والديك في الدنيا، أو ببقاء أحدهما، انظر إلى حالك، وتدبّر في أمرك، فإن وجدت أنك بارّ بوالديك فاعلم أنك لم تفعل شيئًا، وازدد لهم ذُلاً، وازدد لهم بِرًّا، وازدد لهم إحسانًا، وإن وجدت أنك مقصّر فبادر وأدرك نفسك وأكرم نفسك بتذلّلك لوالديك، فإنك والله -فإنك والله!- لن تُدرك حجم ما تفقد حتى تفقدهما، والله إن فقدت والديك أو أحدهما كأنك قد فقدت روحك.

واسمعها نصيحةً من مجرّب يا عبد الله، اسمعها نصيحةً من مجرّب، إن أباك -يا عبد الله- عَمُود البيت، فإن أبقاه الله لك فحافظ على هذا العَمُود، إن أمّك -يا عبد الله- زهرة البيت، سعادة الدنيا، ضحكات الحياة، فإن فقدتها فقدت كل هذا، فَبِرَّها يا عبد الله، ألا ترى الموت يتخطّف الآباء والأمهات؟ ألا ترى الموت يتخطّف الآباء والأمهات؟ وأنت قد أكرمك الله بجنة لك في الدنيا، وبِوَسَط باب الجنة في الآخرة، فإياك يا عبد الله، إياك أن تضيّعه!

يا قاطعًا رحمه! يا قاطعًا رحمه! إني بك لشفيق، ولست أحسن حالاً منك، فاتقّ الله وصِلْ رحمك، وبادر اليوم قبل الغد، فإنك لا تدري متى تُعاجَل، أو متى يُعاجَل قريبُك، بادر -وفقك الله- إلى صلة رحمك، وأحسن إلى رحمك، وأكرمهم بما تستطيع من قول أو مال أو غير ذلك، واعلم -وفقك الله- أن أشد الناس بُخلاً مَن بخل على ذوي رحمه، يقول النبي ﷺ: «ما من ذي رحم فيأتيه رحمه فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه، فيبخل عليه، إلا أُخرج له يوم القيامة حيّة يقال لها شُجاع، يتلمّظ، فيُطَوَّق به».

فاتق الله يا عبد الله، اتق الله يا عبد الله، صِلْ رحمك، وأكرم رحمك، وإياك -يا عبد الله- أن تُهمل أو أن تؤخّر، فإنك إن أخّرت لا تأمن أن تُعاجَل بالعقوبة قبل أن تَصِل، أو يُعجَّل لك بالموت حيث يَحِيل أجلك، فاتق الله عبد الله.

هذا -يا عباد الله- بعض ما يتعلق بحالنا مع صلة الأرحام، أما ما يتعلق بالصلة بين الجيران فباب آخر، وشأن عظيم، سنتكلم عنه في خطبة أخرى مستقلة إن شاء الله.

فاتقوا الله عباد الله، وكونوا من عباد الله المؤمنين الذين إذا سمعوا الحق فرحوا به، وعقدوا قلوبهم عليه، وعزموا على العمل به، وبادَروا إلى الامتثال، لعلكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن نبينا ﷺ يقول: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قَطَعَتْ رَحِمُه وصلها»، ويقول ﷺ: «يا عُقبَة، صِلْ من قطعك»، وأوصى النبي ﷺ أبا ذرّ رضي الله عنه، وكان من ضمن وصيته كما قال أبو ذر: وأن أصل رحمي وإن جفاني.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ لي قرابةً أصلهم ويقطعونني، وأُحسن إليهم ويسيئون إليّ، ويجهلون عليّ وأَحلُم عنهم، فقال ﷺ: «لإن كان كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ، وكان لك من الله عليهم ظهير ما دمت على ذلك».

اعلموا -عباد الله- أن الناس في صلة الأرحام ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: واصل، ومكافئ، وقاطع؛

- أما الواصل حقًّا وصدقًا على وجه الكمال والمدح: فهو الذي يبدأ بالصلة ويصل أرحامه وإن قطعت الرحم، فهو يَتفضّل ولا يُتفضّل عليه، وهذا هو الممدوح بالصلة بإطلاق.
- وأما المكافئ يا عباد الله: فهو المبادل الذي إن وصلت رحمه وصلها، وإن قطعت قطعها، فهذا يُمدَح بمقدار ما فيه من وصل، ويُذَمّ بمقدار ما فيه من القطيعة، ووصلُه ليس كوصل الأول.
- وأما القاطع: فهو المُدبِر والعياذ بالله، الذي يُتفضّل عليه، ولا يَتفضّل أبدًا.

ولكلٍّ حالُه، والمصير بين يدي الله ﷻ.

فإياك يا عبد الله، -إياك يا عبد الله!- أن يمنعك من الصلة كِبْرٌ لأنك أصبحت ذا مقام، أو أصبحت ذا مال، فإن ذلك لا ينفعك بين يدي الله ﷻ، فاتقوا الله عباد الله.

إن الشيطان قد يأتي لأحدنا فيقول: لماذا تبادر أنت؟ هؤلاء أبناء عمومتك، جُفاة غِلاظ، يتكلمون فيك، ويقدحون فيك، فلماذا تصلهم؟ وهذه -يا عباد الله- نصيحة شيطانية، تخالف الوصية النبوية، فانتبهوا -عباد الله- لمكائد الشيطان لكم، وكونوا -عباد الله- لأرحامكم من الواصلين، لعلكم أن تكونوا إلى رضا ربكم من الواصلين.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فأكثروا -عباد الله- من الصلاة على النبي ﷺ في كل أوقاتكم، وأكثروا من الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلتها، ولا تكونوا من البخلاء الذين إذا ذُكر عندهم النبي ﷺ لم يُصَلُّوا عليه.

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وارض اللهمّ عن آله وأصحابه أجمعين، اللهمّ ارض عن الآل والأصحاب أجمعين، اللهمّ ارض عن الآل والأصحاب أجمعين، اللهمّ وارض عنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ إنا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، فارض اللهمّ عنّا أجمعين، اللهمّ ارض عنّا أجمعين، اللهمّ ارض عنّا أجمعين.

اللهمّ سلّم قلوبنا لك يا رب العالمين، اللهمّ سلم قلوبنا لك يا رب العالمين، اللهمّ سلّم قلوبنا لك يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا جميعًا من الواصلين، اللهمّ اجلعنا جميعًا من الواصلين، اللهمّ اجعلنا جميعًا من الواصلين.

اللهمّ إنا نعوذ بك من القطيعة وعقوبتها، اللهمّ إنا نعوذ بك من القطيعة وعقوبتها، اللهمّ إنا نعوذ بك من القطيعة وعقوبتها.

اللهمّ ارحم واغفر لمن مات من والدينا يا رب العالمين، وارحم الأحياء منهم يا رب العالمين، اللهمّ أكرمنا بطول أعمار من عاش من والدينا يا رب العالمين على طاعة وخير يا رب العالمين، وأكرمنا ببرّهم يا رب العالمين.

اللهمّ قرّبنا إلى إخواننا وأحبابنا وأقاربنا يا رب العالمين، اللهمّ اجعل قلوبنا سهلة ليّنة، اللهمّ اجعل ألسنتنا لهم رقيقة يا رب العالمين، اللهمّ يا ربنا، اجمعنا جميعًا على الخير يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا رحيم يا رحمن، ارحمنا أجمعين يا رب العالمين، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا ولأبنائنا وبناتنا وأزواجنا وأهلنا أجمعين، يا رب العالمين.

اللهمّ إنا عباد مذنبون، اللهمّ إنا عباد مذنبون، اللهمّ إنا عباد مذنبون، لكنّ رحمتك -يا ربنا- أرجى عندنا من ذنوبنا، اللهمّ فارحمنا واغفر لنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا واغفر لنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا واغفر لنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا واجعلنا رحمةً على الناس يا رب العالمين، اللهمّ ارحمنا وارحم بنا، اللهمّ ارحمنا وارحم بنا، اللهمّ ارحمنا وارحم بنا.

اللهمّ استعملنا في كل ما تحب يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نعوذ بك من غضبك، اللهمّ إنا نعوذ بك من غضبك، اللهمّ إنا نعوذ بك من غضبك.

اللهمّ إنا نعوذ بك من النار فأعذنا، اللهمّ إنا نعوذ بك من النار فأعذنا، اللهمّ إنا نعوذ بك من النار فأعذنا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت:٤٥].